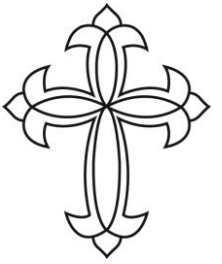

نحيا بموته

قصة رمزية وحقائق لاهوتية
عن التجسد والفداء

بقلم
القمص/ أنجيلوس جرجس شنودة

☆ **اســـم الكتاب:** نحيا بموته
☆ **المـــؤلـــف:** القمص أنجيلوس جرجس شنودة
☆ **الطـبـعـــة:** الثانية – مارس ٢٠٠٤
☆ **الـــنـاشـــر:** مكتبة سانت ماري
☆ **رقـم الإيـداع:** ٧٤٨٧/٢٠٠٤

قداسة البابا المعظم البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

يالا بشاعة الخطية، لقد صوب إبليس سهام الشر لتنفذ إلى قلب الإنسان لتسقطه من مكانته السامية وسلطانه، وصار الفناء يعمل فيه والفساد يشوه كل جمال داخله. فالموت آتٍ لا محالة والأيام معدودة بلا رجعة.

فأيام عمره على الأرض أصبحت هي سبيله الوحيد للحياة، فصار وحشاً قاتلاً سفاكاً للدماء، يتربص بالآخر ليفوز بنصيبه في الحياة.

وصارت الأرض غابة إلى أن جاء السيد المسيح ليسد نزيف الموت ويهدئ خوف الإنسان ويرجع إليه سلامه المفقود وإمكانيات الحياة الأبدية. لقد جاء السيد المسيح ليكون الإنسان إنساناً...

القمص
أنجيلوس جرجس شنودة

الفصل الأول
أبي جاء لأحيا
(قصة رمزية)

في كل زمان ولكل إنسان، لابد وأن نحكي هذه القصة لأنها تحمل التراث الحقيقة لنا، وتعبر عن أعمق مشاعر عرفها الإنسان عن الإله الذي أحب حتى بذل ذاته كي تعيش الإنسانية من جديد وتخرج من جدران السجن والعبودية والموت....

كان هناك ملك عظيم وقوي، يحمل القدرة على كل شيء في مملكته، ويوماً ما اشتاق هذا الملك أن يكون له ابناً يحمل شبهه في القوة والإبداع والحكمة ويرث ميراثه. ويكون هذا الابن موضوع حبه ومحور اهتمامه ليعلمه ويهبه كل شيء.

ولأن قدرته بلا حدود، فقد جاء ابنه حسن الصورة جداً حسب ما كان يريد الأب. فكان يحمل من أبيه ملامح القوة والجمال والحكمة.

كبر الابن وأصبحت له إمكانيات **الحياة الملوكية** من عقل وحكمة وحياة متدفقة حيوية.

وهذا جعل الملك يعطيه سلطاناً على إدارة قصره وجزئاً من مملكته، وبذلك أصبح **الابن المحبوب** أهم شخص في المملكة بعد الأب والملك العظيم.

وكان هذا موضع حسد الأشرار الذين انشقوا عن المملكة قديماً وكانوا قبلاً **عبيداً** عند الملك، وكانت لهم في المملكة **سلطاناً وقوة** ومجداً قد أعطاها

لهم الملك. ولكن هذا جعلهم يظنون أنه يمكنهم أن يستولوا على عرش الملك ويأخذون منه مملكته وسلطانه كله ليكون لهم كل المجد والعظمة.

ولما علم الملك بفكرهم وشرهم طردهم من مملكته وقصره، إذ لا يمكنهم أن يعيشوا معه وهم لا يحملون حباً له. وصاروا **بطبيعتهم الشريرة** لا يستطيعون أن يكون لهم شركة في **مملكة الخير**، فصنعوا لهم **مملكة الشر والظلمة** التي تتوافق مع طبيعتهم وشخصياتهم.

وكانوا يعرفوا جيداً أن مملكتهم هذه لا تقوي على **الحياة الدائمة** فإنها ستباد يوماً وتفني وتنتهي.

فازدادوا **حسداً** على ابن الملك صاحب السلطان والملك الذي وهبه إياه الأب الملك.

وقد ظنوا أنهم إذا استطاعوا أن يجعلوا ابن الملك ينضم إليهم قد لا يستطيع الملك إهلاكهم. فأصبح محور اهتمامهم **هو كيفية تجريد ابن الملك من ملكه وأخذه تحت سلطانهم.** ليثبتوا للملك العظيم قوتهم ويتحدونه في صورة **ابنه المحبوب.**

أما الابن المحبوب فكان يعيش حياة سعيدة داخل القصر العظيم، **إذ يحيا في صورة أبيه.**

فالعقل مملوء من الحكمة والحرية دون أن تعوقه أية قيود لحريته، وله سلطان على كل شيء لأنه **يحمل سلطان** أبيه، ولا يستطيع أحد أن يهدد حياته داخل المملكة.

وظل الابن على هذه الحالة السعيدة إلى أن جاء لأبيه يوماً ليسأله عن الحياة خارج أسوار مملكته. فقال الأب لابنه:

داخل أسواري تعيش سعيداً، وفي الحياة معي تأخذ كل السلطان. ولكن يا ابني لأنني قد ربيتك على معرفة كل شيء، ومع إنني قد وهبتك كل شيء، إلا أن **الحرية تستدعي تعرف أيضاً أن هناك نور وظلمة، خير وشر، سعادة وشقاء وعليك أن تختار كل شيء** ولا يكون هناك شيء خارج حريتك. ولابد أن تعرف بأنه **خارج المملكة يعيش الأشرار في حياة مظلمة**.

وقد كانوا في مملكتي ولكني طردتهم؛ لأنهم أشرار وحينما أصبحت أنت وريثاً لكل شيء، ازدادوا حسداً لك، فهم متربصون بك ويريدون أن يستعبدوك حتى تكون خسارتي كبيرة جداً فيك حينما تموت معهم.

لذلك أغلقت أبواب مملكتي ولم أشأ أن تخرج منها حتى لا يقتربوا منك. ولكنك الآن كبرت وأنت حر ولك حكمة وعقل قوي، لذلك فأنا أعطيك الآن مفاتيح المملكة والقصر لتعرف أنك بالحقيقة حر وأنك تستطيع أن تختار كل شيء ...

إما الحياة معي في مملكتي مع السلطان الذي وهبته لك وبنوتك لي أو الحياة معهم في الشر والظلمة والعداوة لي... ومن ثم الموت.

ولكنك لابد أن تعرف حقيقة هامة جداً وهي أنك يوم أن تخرج من مملكتي ستكون تحت سلطان مملكة الأشرار؛ وبخروجك ستعلن أنك لم تعد تريد أن تعيش معي وبهذا **ستفقد سلطانك** لأنه مستمد من الحياة معي، فإذا خرجت سيضيع كل مجد وهبته لك.

وسيكون لهم القوة ليستعبدوك، ويمكنهم أن يشوهوك ليزيلوا منك صورتي التي فيك، وبعد ذلك ستموت معهم لأن مملكتهم ستنتهي وتفني وهم يريدوا أن يأخذوك حتى لا أفني مملكتهم لأنك معهم.

ولكنها مملكة لابد أن تنتهي وكل ما فيها سيموت، فإذا دخلتها ستموت أيضاً معهم. **لذلك تذكر هذا الكلام جيداً حتى لا تموت.**

ولكنك **حر** وتعرف **إنني أحبك** حتى إنني وهبتك كل شيء ولكني أريد أن تكون حياتك معي عن **اختيار** وليس عن إجبار وقهر.

وفهم الابن هذا الكلام جيداً وظل حريصاً كل الحرص كلما اقترب من أسوار المملكة، لأنه يعرف أنه **خارج هذه الأسوار يموت** ويضيع سلطانه.

إلى أن جاء يوم وهو يقترب من أبواب المملكة وسمع صوتاً يناديه بهدوء ويريد أن ***يكلمه ويتحاور معه.***

فأسرعت ضربات قلبه من الخوف وتسمرت قدماه ودارت في رأسه كل كلمات أبيه، إلا أنه فكر في أن يقترب ويعرف ماذا يريدون منه، فرد عليهم قائلاً: ماذا تريدون؟

- فقال له الأشرار: نحن أصدقاء أحباء لك. نريد مصلحتك.
- فقال الابن لهم: مصلحتي؟!! ***كيف؟؟ وأنتم تريدون أن أموت معكم.***
- فأجاب الأشرار: أبدا من قال لك هذا الكلام؟
- فأجابهم الابن قائلاً: **أبي الملك العظيم** هو قال ذلك.
- أجابه الأشرار قائلين: إن أباك يريد أن يسلبك حقك في أن تكون ملكاً عظيماً مثله وليس تابعاً له. لذلك أراد أن تكون داخل أسوار مملكته ولا تغادرها حتى لا تكون خارج سلطانه. ولكننا نعرف أنك تحمل سلطاناً تماماً مثله ولك كل الإمكانيات لكي تكون ملكاً مثله وليس تابعاً لأحد. ***هلم أخرج لتعلن حريتك ولتكون ملكاً من الآن، وليس تابعاً لتصير مثل أبيك تماماً.***

وتردد الشاب قليلاً في استكمال الحوار ولكن كلامهم قد ***لقي صدي في عقله***، فاستمر في الحديث وقال: ولكنني إذا خرجت سأموت، فبدون أبي سأفقد سلطاني ومعكم سأموت، لأن خارجا هاوية الموت. هكذا قال لي أبي.

فضحك الأشرار عليه قائلين: طبعاً كان لابد أن يخيفك من الخروج من مملكته ويقول لك إنك ستموت خارجاً وأنها هاوية الموت، ولكن كل هذا لكي تكون تابعاً له وليس مثله.

لا يا صديقنا .... ***لا لن تموت بل ستصير ملكاً مثله***. إنك حر وملك مثله... أخرج لتعلن عصيانك عليه ورفضك له ولسلطانه، لكي تكون أنت الملك ولك كل السلطان وكل المعرفة وكل الحرية.

ألست حراً؟! إذاً استخدم حريتك هذه وأخرج... إلى متي تتبعه هكذا دون أن تستخدم حريتك في صنع ذاتك منفصلاً عن أبيك الملك؟

وامتلأ عقل الشاب بهذا الكلام ولأول مرة ***يشك*** في محبة أبيه وكلامه وشعر بزلزال في داخله.

وهنا أخرج المفتاح وأداره داخل أبواب مملكة أبيه ليفتح الباب بحريته ويسير بقدميه خارج المملكة ليدخل في مملكة الأشرار، وليته ما فعل، وليته ما سمع، وليته ما خرج ليبحث عن ذاته منفصلاً عن أبيه. لقد صار بلا سلطان خارج المملكة وأصبح تحت سلطان الأشرار.

فانقضوا عليه بشراسة وجردوه من ملابسه وعروه وألبسوه ملابس العبيد، وجعلوه يكتب ورقة يبيع فيها نفسه بمبلغ باهظ الثمن جداً حتى يستعبد لهم حسب قانون العبودية...

ثم جرحوه في وجهه ليزيلوا أي شبه مع أبيه وختموا على جبينه ختم العبودية وساقوه بلا كرامة، ونزلوا به إلى مملكتهم ليصبح عبداً لهم، وبينما كانوا يرقصون ويفرحون بالغنيمة العظيمة...

كان هو يصرخ يتأوه من حاله ولكن بلا فائدة...

ونزل الابن ليحيا في مملكة الظلمة وهو يعرف إنه محكوم عليها بالموت والفناء، وأنه سيفني معهم ويموت أيضاً معهم. فتأسف الابن جداً على حماقته التي أدخلته إلى هذا المصير. فظل يبكي وينادي أبيه بصوت حزين ومجروح وفجأة سمع الابن صوت أبيه يزلزل كيانه ويأتيه قوياً من خلف أسوار مملكته قائلا له: أين أنت؟؟!! لماذا خرجت من مملكتي وسلطاني؟! لماذا أطعت صوت الأشرار؟!

ألم أقل لك إن خارجا عني الموت والعبودية والمهانة... !!!

لماذا عصيتني وأردت أن تتركني، لقد كنت في أحضاني لك حياتك وقوتك.

والآن أين أنت؟ خارجاً عني عاصياً لكلامي تنزف الحياة وبلا قوة.

وبينما كان الملك يكلمه كانت أصوات الأشرار تتعالي في تحدٍ: إنه معنا، إنه اختار أن يتركك ويصير عبداً لنا. وها هو بلا سلطان، سيموت معنا... لقد صار لنا لأنه اختار بالحرية التي أنت أعطيتها له...

وحزن الملك جداً على ابنه الذي فقده وقد صار بين أنياب الوحوش يفترس لتفترسه ويتألم ويموت عبداً. حزن على كل سلطان منحه له ليصبح ملكاً، فخرج وسلم نفسه عبداً. حزن على ابنه الذي لم يعد يحمل شبهه، وصار يحمل سمات العبودية. حزن لأنه سيعيش معهم في ألم وضيقة وتعب، إلى أن تفني مملكتهم فيفني معهم...

فالملك سيفني هذه المملكة بعد زمن هو يعرفه، ولكن كيف يفعل هذا وابنه معهم؟؟!! كيف سيفني المملكة بعد وابنه بين أيديهم ؟؟!! ولكنه لم يعد ابنه الذي يحمل شبهه، لقد اختار أن يتركه ويصير بعيداً عنه.

لقد رفض الحياة معه مفضلاً حياته مع الأشرار

فماذا سيفعل الملك أمام هذا؟

هل سيترك ابنه العاصي لأنه اختار الطريق رغم التحذيرات؟

هل سيوافق على موت ابنه ويتركه بعدما فقد كل شيء وصار مشوهاً؟

هل سيغفر له حماقته ورفضه لأبوته؟ وحتى إن غفر له...

كيف يستعيده من مملكة الأشرار ومعهم صك بثمن العبودية؟

كيف سيعيش مرة أخري معه وهو يحمل صورة العبودية على جبينه؟

كيف يرجع الابن إن لم يخلصه أحد من حالته وعبوديته وسجنه؟ ويزيل عنه آثار الخطية؟

ماذا سيفعل الأب الآن؟ فهو لا يستطيع أن يبيد هذه المملكة إن لم يخلص ابنه الأول منهم ثم يبيدهم حسب حكم الموت.

ولكن هذا الملك كلي القدرة والسلطان فلابد أن يصنع شيئاً حتى ينقذ ابنه ويعيده إلى حالته وصورته الأولي.

فأخذ الملك يفكر في طريقة يخلص بها ابنه الذي صار مشوهاً وأصبح عبداً بين أيدي الأشرار. فوجد الملك إنه لابد من أن ينزل من عرشه ويذهب إلى ابنه ويدخل مملكة الأشرار لينقذه من قبضتهم، ومن الموت الذي دخل إليه معهم.

فأرسل رسلاً يحملون رسائل له يعرفه فيها أنه سيأتي يوماً وينقذه لكي يتشدد ويتقوى ولا يخور من الألم، ويدخل في عبودية أقصي. بل يظل قوياً مؤمناً بأن أباه يحمل قوة لخلاصه وعلى هذا الرجاء يعيش ويحتمل ولا يتنازل عما تبقي من صورته وإرادته.

وكانت تحمل هذه الرسائل ما تعزي الابن في ضيقات كثيرة... ***وكلما تصله رسالة من أبيه كان يفرح ويحفظها عن ظهر قلب، حتى اقترب الموعد المحدد والذي أعلنه له أبوه بأنه سيحرره وينقذه.***

وقد رتب الملك خطة يخلص بها ابنه. وجاء يوم من الأيام نزل فيه الملك عن عرشه ولبس ملابس عادية متخفياً في زي العبد ، متخلياً عن كل عظمة الملك وصورة سلطانه ... واتجه نحو أبواب المملكة العظيمة وفتحها ليخرج إلى مملكة الظلمة باحثاً عن ابنه المفقود ...

سأل كثيراً وبحث كثيراً جداً ، حتى علم إنه مع العبيد تحت سلطان قاسي ، فارتضي أن يدخل مدينة العبيد وعاش وسطهم وعمل كعبد معهم. أكل وشرب معهم ، نام معهم ، وحمل النير معهم ، فقد كان يخرج للعمل كعبد وينفذ كل تعليمات المتسلطين عليه. كل هذا ليفتش عن ابنه وينقذه ، وبعد أيام وجده وسط العبيد ، ***فاتجه نحوه بكل حب وحنان ، احتضنه وقبله ، وبينما وجد ما صنعوه فيه ، بكي الأب على حال ابنه ،*** فقد كان وجهه مشوهاً وجروحه ملوثة وعميقة بلا شفاء وملوثة وكانت تؤلمه جداً .

فقال الأب لابنه : لا تخف ، فأنت لن تعود عبداً ولن يتسلطوا عليك مرة أخري.

أما الابن فحينما وجد أباه صرخ باكياً نادماً على عصيانه متذكراً كل ألم في زمان العبودية وأخذ يحكي له كل ما تم في زمن الأسر وشراسة الأعداء .

- وفي يأس وخزي أخفي وجهه وقال لأبيه : بعت نفسي لهم بمبلغ باهظ الثمن.

- فرد عليه أبوه وهو يربت على كتفه: لا تخف، سأدفع عنك الحساب وأمزق صك عبوديتك...
- فانفتحت عيون الابن فرحاً، وقال لأبيه: حقيقي يا أبي سأصير حراً، ستمزق صك عبوديتي!!! ولكنه باهظ جداً، ستدفع ثمناً غالياً جداً فيّ أنا الذي اخترت أن أبعد عنك بجهلي وضعفي وتركتك رغم محبتك لي.
- ***فأخذه الأب في حضنه*** وقال: ***ولكنك لا تزال ابني المحبوب،*** سأغفر لك جهلك وضعفك وأعطيك الحياة من جديد.
- ورد الابن في يأس مرة أخري: ولكن هناك أبواب مغلقة ومتاريس نحاس وأقفال وحراس شرسين، كيف سنخرج ؟!!
- فنظر الأب إلى ابنه بنظرة عتاب قائلاً ما بالك غير مؤمن بأبيك، إياك أن تنسي، أنني الملك، صاحب السلطان. فهذه الملابس وإن أخفت طبيعتي ولكنها لم تغيرها ولن تسلبني سلطاني. فمجدي مخفي فيّ وسلطاني سأستخدمه حينما يتطلب الأمر.

وأخذه من يده وذهب حيث أوراق العبودية ودفع ديون ابنه، وأخذ الورقة والصك المكتوب عليها عبودية ابنه ومزقها وسط ذهول الكل غير مصدقين إنه يوجد من يدفع هذا الدين الكبير في إنسان مجروح ومشوه. فهو مجرد عبد

ضعيف ليس فيه قوة ولا جمال ولا إمكانيات عظيمة. ولكن أن كان هذا في عيونهم ...***لكن الأب كان يري في ابنه إنه المحبوب الذي سر إن يحمل اسمه ويعيش معه.***

وأمسك الأب بيد ابنه بعد أن دفع الدين العظيم عنه ليخرج من مملكة الظلمة، فأوقفه الحراس والقائمون على المملكة معلنين سلطانهم وشراستهم.

فقام الأب وخلع ملابس العبيد ليظهر نفسه أنه ***ملك الملوك ورب الأرباب***، فسقط أمامه كل من رآه وخافوا جداً، ووسط هلع الحراس ورجفة القائمين على أبواب مملكة الظلمة، تقدم الملك العظيم وهو يحمل ابنه المجروح على يديه ليدوس على كل سلطانهم وقوتهم.

فلم يستطع أحد أن يمسكه أو حتى يقترب منه، بل ارتعدوا وخافوه جداً وأمرهم بكل قوة أن يدخلوا إلى مملكتهم المظلمة وكانت نظراته تذيب قلوبهم وترعبهم، ولم يستطع أحد منهم أن يرفع عينيه فيه، بل تواروا وهربوا من أمامه، وعبر الملك محتضناً ابنه من أبواب الظلمة الدهرية ليهب ابنه من جديد الحرية. وعلى أبواب المملكة قال الأب لابنه: ابني أنا اليوم ولدتك من جديد، أنا اليوم أهبك حرية الحياة من جديد. لذلك أسألك أتريد أن تحيا في ملكوتي وسلطاني؟ أتحب الحياة معي حسب قانون مملكة النور؟ لك أن تختار من جديد. هل تحب حياتي أم الحياة المظلمة وسط الأشرار؟!

أما الابن فقد امتلأت عيناه بالدموع، وسجد أمام أبيه وقال له:

يا أبي وملكي

لك أنا كلي

قلبي وعقلي، مشاعري، جسدي وروحي.

فأنا كنت مباعاً من ضعفي وجهلي

وصرت عبداً وأنت اشتريتني.

كنت مجروحاً ومهاناً وأنت

دوائي وكرامتي.

لقد عرفت أنك أنت الحياة وخارجاً عنك

الموت والفناء.

فكيف أرجع وأختار الموت بعيداً عنك.

لقد عرفت أنك أنت وجودي وصلابة عودي،

فكيف أتركك وأصير بلا معني وبلا وجود وبلا أبي؟؟!!

ألا ن أطلب منك ألا تشمئز من جروحي

وقروحي، بل داويها ....

- فنظر إليه الأب بحنان وقال: طالما ***تريد*** يا ابني أن أغيرك، سأفعل... سأداويك وأشفيك...
- ورفع الابن عينه وقال له: لا تسألني عن ثوبي الذي أعطيتني إياه، فقد مزقته بجهلي وغبائي. قد بلي في مملكة الأشرار....
- ***فنظر إليه أبوه وأخذه إلى أحضانه*** وقال: ***يا ابني سأعطيك ثوبي لتلبسه، وتشرق فيه.***
- وأدار الابن وجهه ووضع يديه على ملامحه وقال: آه يا أبتي، لا أريد أن يراني أحد في ملكوتك لأني مشوه ولم أعد أحمل ملامحك وشبهك. لقد دمرت نفسي حينما تنازلت عن شبهك الذي وهبتني إياه وخرجت من ملكوتك.
- فقال له الأب: سأعيد شبهي فيك وأشكل فيك ملامحي من جديد، قوتي وسلطاني، ستعود إليك، ومجدك سيصير معلناً للجميع.

وأخذه الملك بين يديه من جديد ودخل مملكته وسط تهليل وفرح كل مملكة النور، وكانوا ينشدون نشيد الانتصار، ويعزفون أحلي النغمات... ***تمجيداً للملك العظيم الذي حبه بلا حدود ومملكته بلا نهاية وعمله عظيم جداً.***

ودخل الابن مع أبيه؛ فسقاه من ماء الحياة؛ فشفاه، وأعطاه ثوباً ملوكياً. ولأنه قادر وله سلطان على كل شيء فقد أعاد في ملامحه شبهه وأزال علامة العبودية وأعطاه خاتماً في إصبعه. وصنع له وليمة كبيرة ليأكل معه على مائدته ليعوضه عن جوع السنين والألم والزمن الحزين... وبينما الموسيقي تعزف ألحان الفرح والمنشدين يرددون تراتيل الانتصار...

خرج الملك في يمينه ابنه المحبوب ووجهه مشرق من جديد وعليه ثوبه الجميل، وقد مسح الأب كل دموعه، وقد أبرأ الملك كل أسقامه، ووهبه شبهه ليملك معه في ملكوته إلى الأبد. نعم إلى الأبد، سيجلس على عرشه وسط مملكته.

ما أجملها قصة... وما أعظمه ملك

هذا الذي حبه بلا حدود

يغفر لابنه ما صنع من جحود لأنه يحبه ...

نزل لينقذه، وأعاده إلى الوجود

قهر الموت معطيا له ذاته دواء للخلود

صلاة

يا رب يا قوتي... أسبحك
فأنا بدونك فريسة سهلة
أنا خارجاً عنك دمي مهدر
فالذئاب تنهشني....
والكلاب تخيفني
لأنني بدونك
الأنياب تطولني
والأفواه تبتلعني
لأنني بدونك تائه بلا معني
والنار حولي
فمن يطفئ لهيب النار عني؟
من يضئ ظلمتي؟
من يحميني؟
من يجعلني أرفع عيني؟
من لي سواك؟
فأترجاك ...

أن ترجع إلى نفسي
أن تملأ قلبي
أن تعود أحضانك تحويني
وأنفاسك تدفئني
فكلماتك سر قوتي
ونصرتي
يا ربي يسوع...
اسمح لي أن أعود إلى ملكوتك
فأنا أشتاق إلى أحضانك وصورتك
يا حبيبي ...
أمسك جبلتي بيمينك
واصنعني جديداً
لتعيد تكويني
أمسك بالريشة لترسم ملامحي
أرسل روحك ...
ليعلمني ويرشدني
ليعضدني ويحويني

يا أبي ها قلبي في يمينك
أسكن فيه ليصير سماءك
أمسحه بدمك
ليتطهر كي يليق بك...

آمين...

الفصل الثاني
مأساة سقوط الإنسان

والآن عزيزي القارئ...

دعني أكشف لك حقيقة هذه القصة الرمزية... إنها قصة الإنسانية، إنها المأساة التي عصفت بكياننا كله فتغيرت ملامحنا وأفكارنا وصورة حياتنا وأيامنا.

سنوات طويلة ومرعبة عاشتها الإنسانية إلى أن رأت الخلاص حقيقة ملموسة ووضع السيد المسيح له المجد حداً قاطعاً للموت. القصة تبدأ حينما خلق الله الإنسان ***إذ أحبه فخلقه***.

نعم كان الإنسان موضوع حب في فكر الله قبل أن يخلقه، ولأن الله لا يجد عليه جديد فلا يمكن أن تكون فكرة وجود الإنسان في لحظة ما جديدة على فكر الله، فهذا مستحيل لاهوتياً، لأن الله كامل فلا ينقصه حتى الفكرة البسيطة.

فالإنسان كان له وجود مسبق في فكر الله وبعد زمن تدبير الخليقة كلها أوجده كابن محبوب لأبيه يحمل صورته ومثاله لينال كل الحب والسلطان والحياة كما أراد الله.

خلق الله الإنسان من تراب كطبيعة مادية ونفخ فيه نسمة الحياة كطبيعة روحية منه ويحمل شبهه. وصار الإنسان بذلك يحمل النفس الحية التي فيها صورته الشخصية ولكنها تشبه الله.

ولم يكن هناك صراع بين المادة والروح ولم يكن هناك تشوه أو ضعف في النفس، بل أن كل شيء كان في تناسق وتآلف تام. والكيان المادي للإنسان متسامي ومرتفع ومتغير عن الصور المادية الأخرى نتيجة اتحاد المادة بنفخة الحياة التي من الله، وهي النفس الروحية أو الروح النفسية جاعلة إياه ***تاج الخليقة كلها***. وقد كانت الطبيعة الأولي قبل السقوط غير خاضعة لقانون الفناء.

والنفس[1] كانت في حالة انسجام دائم مع الروح وتعمل فيها بقوي روحية متسامية؛ فالإرادة والانفعالات والفكر قوى روحية نفسية بلا خلل أو صراع. وقد كان الشبه الذي يحمله الإنسان من الله متمثلا في أن له:

- عقلاً يفكر ويحمل الحكمة والحرية.
- صورة البر والقداسة ويحمل سلطانا وقوي مثال الله.
- حياة خالدة لا تفني.

[1] النفس الإنسانية: هي التي تحمل الإرادة والانفعالات والتفكير.

أولاً: عقل يفكر ويحمل الحكمة وبهذه الصورة والشبه يحمل أيضا الحرية

لقد خلق الله الإنسان ووضع فيه شبهه وإذ كان الإنسان محدوداً في طبيعته، ولكنه يشبه الله الغير محدود في طبيعته وصفاته. فالله مطلق في كل شيء، الحكمة والعقل والحرية. وكانت صورة الإنسان محفوظة بسلطان الله وهو ليس سلطان قاهر متسلط للإذلال والخنوع ولكنه سلطان الحب والخير.

ولكنه حينما يرفض سلطان الله ووصاياه كحدود له، يكون قد دخل في دائرة سلطان آخر وهو سلطان الشر والظلمة. وما أبشعه سلطان.

ولأن الله خير مطلق وصلاح دائم ... فكان لابد أن تكون علاقة الإنسان بالله على أساس الاختيار وليس الإجبار. ولأن الإنسان له ***عقل يفكر ويختار*** به فلابد أن يأخذ فرصة للحرية التي يمكن بها أن يختار وجودة وحياته ومحبته، بهذا يكون حراً، ***فالحب المغصوب ليس حباً والخير المغصوب ليس خيراً***. فالحرية كانت اختباراً للقداسة والحياة مع الله.

من أجل هذا أعطي الله الوصية للإنسان ليعلن عن إرادته الحقيقية... ***ففي طاعتها شركة الحب وإرادة الخير وفي عصيانه الإعلان عن رفض الحياة مع الله والخروج من دائرة ملكوته.*** وكان على الإنسان أن ***يختار*** ويتحمل نتائج هذا الاختيار.

إما أن يختار أن يعيش للأبد مع الله في قوة وغني ومجد أو يرفض الحياة مع الله ويتحمل نتائج عصيان الخير، فيوافق على الشر، ويرفض الحياة مع الله فيدخل في الموت، وحين يرفض القداسة يدخل في شركة الفساد. فتشوه صورته ويصير تحت سلطان إبليس حيث الموت والعدم لأن ***الوجود مع الله هو الوجود الحقيقي...***

ثانياً: يحمل صورة البر والقداسة

حقا ما أروع تلك الصورة التي وهبها الله للإنسان حسب تدبير خلقته؛ فلقد ***أحبه*** للدرجة التي وهبه شبهه في البر والقداسة ليصير ابنه يحمل صورته. وهذا يجعل له القوة والسلطان وسط الكون وأمام كل الطبائع والخلائق. فقداسته نابعة من شبهه بالله! فالقداسة هي الارتباط بالله – فأي شيء يدخل في علاقة مع الله يصير مقدساً – ؛ إذ أنه لا يوجد شيء مقدس من ذاته بل القداسة تمنح من الله.

فالطبيعة تصير مقدسة إذا ما ارتبطت بالله من جهة عملها، فنقول هذا المكان مقدس حينما يستخدمه الله فيتقدس من خلاله، ***أما الإنسان فقد كان كيانه كله مقدسا لأنه مخلوق على صورة الله ومثاله.***

فالجسد المادي مقدس ومتسامي بنفخة الله التي فيه. ولم يعد بعد تراباً فقط، والنفس والمشاعر والفكر كانوا مقدسين لأنهم خاضعين لإرادة الخير

المطلق في الله، وبالرغم من الحرية المعطاة للإنسان منذ خلقته إلا إنه لم يكن قد عرف شيئاً أخر سوى إرادة الله.

وبذلك يكون السلطان الذي منحه الله للإنسان مرتبطاً بقداسته وتلك القداسة مرتبطة باختياره للحياة مع الله والارتباط به. ***فحينما يرفض الحياة مع الله تضيع القداسة وبالتالي السلطان.***

ثالثاً: خالد لا يفنى.

لقد خلق الله الإنسان ليحيا معه إلى الأبد واضعاً فيه الحياة التي منه كي لا يفني. وهذا يعني أنه حتى تظل فيه الحياة كان لابد وأن يكون مرتبطاً كيانياً بالله. ***فالحياة هي الله ... وخارجاً عنه لا توجد حياة.***

إذ أن الله هو المصدر الوحيد للحياة والخروج عنه يعني الفناء والموت. أما باقي المخلوقات المادية فإنها لا تحمل روحاً ترتبط بالله بل نفساً فقط لذلك تموت بمجرد أن يسفك دمها.

"لأن نفس الجسد هي في الدم" (لا١٧: ١١)

قانون الفناء

كل المخلوقات المادية تحيا حسب قانون خاص محدد بوقت معين وبانتهائه تفني ولا يبقي لها وجود. والإنسان بالرغم من وجود كيان مادي له خاضعاً لقانون المادة إلا أنه يحمل روحاً تجعله يحيا إلى الأبد، ***إذا ما ارتبطت روحه بالله***، ولكن إذا انفصل عن الله تنطفئ الروح. ويموت روحياً ويكون تحت هذا السلطان إذ لا يكون لروحه عمل حين ينفصل عن الله ويحيا حسب قانون المادة.

قانون الحياة

وحتى يحيا الإنسان إلى الأبد لابد وأن يختار بحريته الاستمرار في حالة البر والقداسة، وهذه لا تتم إلا بالوجود الدائم والارتباط بالله والاتحاد به. ومن هنا جاءت أهمية الوصية إذ أنه من خلالها يتم تحديد طريق الحياة أو الموت.

"انظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر. بما أني أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وتنمو ويباركك الرب إلهك في الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها. فإن انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها. فإني أنبئكم اليوم أنكم لا محالة تهلكون. لا تطيل الأيام على الأرض التي أنت عابر

الأردن لكي تدخلها وتمتلكها. أشهد عليكم اليوم السماء والأرض. قد جعلت قدامك الحياة والموت. البركة واللعنة فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك والذي يطيل أيامك لكي تسكن على الأرض التي حلف الرب لآبائك إبراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيهم إياها"
(تث ٣٠ : ١٥ – ٢٠)

قانون الوصية والحرية

كانت الوصية مثل لوحات إرشادية في طريق الحياة لتبين نهاية الطريق الذي سيسلكه الإنسان بإرادته. وقد كانت الوصية متمثلة في تحقيق القداسة بحرية، **فاليوم الذي يريد فيه الإنسان أن يحيا بدون الله يخسر العلاقة معه، ويكون قد اختار أن يخرج من دائرة إرادته وطاعته وبذلك يموت.**

وكان هذا من خلال الأكل من ثمر شجرة معرفة الخير والشر، ولم تكن الثمرة في حد ذاتها هي الخطية بل هي في كسر الوصية. فالله لم يخلق شجرة الخطية إذ أن خلقة الله دائماً طاهرة. كما أن الشجرة اسمها ***شجرة معرفة الخير والشر...*** فهي ليست شراً ولكنها تعلن عن معرفة الشر حين يكسر الإنسان الوصية، وتعلن عن معرفة الخير حين يختار الإنسان إتمامها.

وحينما أكل الإنسان من الثمرة وأعلن رفضه للعلاقة مع الله ووافق على إرادة الشر المعروض عليه كي يصير مثل الله دخل في دائرة الشر والعصيان وسقط.

"بل الله عالم إنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وإنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل" (تك ٣: ٥ ،٦)

الوصية إذا لم تكن قيداً على حرية الإنسان ولكنها كانت لأجل إظهار حريته في اختيار طريق الحياة مع الله أو عصيانه. فبإرادته كسر الإنسان الحياة وشوه الصورة وأفسد الشبه الذي خلقه الله حينما استقل بكيانه رافضاً طاعة الله.

وكان يظن أنه سيصير مثل الله. فقد وثق في كلام إبليس الذي أغواه وأدخله إرادياً في دائرة الشر بعصيانه للخير، رافضاً طاعة كلام الله كاسراً العلاقة معه، وبذلك صار خارج الله فاسداً عبداً تحت قانون الموت والفناء.

آثار الخطية ونتائج التعدي

١- فساد الطبيعة الإنسانية وتشويه صورة الله فيه

لقد كان الإنسان قبل السقوط مقدساً وباراً يحمل شبه الله؛ ذو طبيعة مقدسة. ولكنه حينما اختار أن ينفصل عن الله تشوهت هذه الصورة بضياع ملامح القداسة من الإنسان، وبذلك فقد الشبه وإن كان لم يفقد الصورة بل تشوهت. **فلقد خلق الله العقل في الإنسان على صورته وأعطاه الشبه بالحكمة التي يفكر بها.**

ولكن الصورة أصبحت مشوهة وبلا حياة لأنها فقدت الارتباط بالله وصارت تحمل آثار التعدي والخطية. فبعد نعمة الوجود الدائم مع الله وسلطان قداسة الصورة، صار الإنسان يحمل كياناً يعمل فيه الفساد ولا يشبه الله. وبدل البر والقداسة أصبح الإنسان في حالة عصيان ويحمل طبيعة خاطئة؛ فالفساد أصبح له سلطان الحالة التي وضع فيها الإنسان ذاته فيها لأنه خارج كيان الله.

قانون الفساد

كان الإنسان قبل السقوط يحيا في دائرة البر بكل كيانه؛ وكان البر هو قانونه الطبيعي. أما بعد السقوط فقد دخل في دائرة الشر وأصبح متواجداً في دائرة انجذاب طبيعي للخطية ليفسد كل كيانه، إذ سمح لإرادته أن تتمم هذا الانجذاب لقانون الشر الذي أصبح يعمل في داخله وإتمامه يعني الموت.

إلا أنه ظل يحمل في كيانه آثار صورة الله وإن كانت بلا عمل لانفصاله عن الله. فهو ***لا يزال يحمل روحاً تحب الله*** حتى وإن كانت بعيدة عنه... ***ونفساً تشتاق إليه*** وإلى بره حتى وإن كانت لا تزال تنخدع من إبليس وتتلوث بالعلاقة معه... ***وجسداً يشتاق إلى الأبدية*** والخروج من دائرة الموت حتى وإن كان محصوراً في الأرض واحتياجاته المادية.

❖❖ السمكة مثال للفساد حسب قانون الحالة

والآن أريد أن أوضح لك عزيزي القارئ الفكرة السابقة بصورة أخرى فالسمك لا يحيا إلا في الماء. وطالما أن السمكة داخل المياه فهي تستطيع أن تعيش لأنها في وسط الحياة الملائم لها. ولكن حينما تخرج السمكة من البحر تصير مائتة رغم أن إمكانيات الحياة موجودة فيها عضوياً، ولكن لأنها خارج مناخ الحياة (المياه) فهي لابد أن تموت ويظهر للجميع فساد طبيعتها وتفوح رائحتها وتتحلل وتنتهي.

هكذا الإنسان...

فان حياته كانت في الله ومن الله، فحينما أراد أن يخرج من الوجود معه والحياة فيه، صار للفساد إمكانية العمل داخله وأصبح في مناخ يعمل فيه الفساد فينتهي ويموت. فالنفس أصبحت تحت تأثير الفساد تقبل الشر والخطية فعرف الإنسان الحقد والكراهية والقتل.

"وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب. وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها. فنظر الرب إلى هابيل وقربانه. ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. فأغتاظ قايين جداً وسقط وجهه. فقال الرب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك إن أحسنت أفلا أرفع. وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها. وكلم قايين هابيل أخاه. وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام علي هابيل أخيه وقتله"
(تك ٤: ٣ – ٨)

والجسد الذي كان مخلوقاً ليحيا إلى الأبد أصبح يمرض ويتعب ويموت ويتحلل (تك ٥).

والروح بانفصالها عن الله تسجن تحت سلطان إبليس، فقد زرع إبليس في الإنسان ما يجذبه إليه ويحمل سلطاناً عليه.

"ورأي الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب إنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء. لأني حزنت إني عملتهم" (تك ٦: ٥ – ٧)

لقد دخل الإنسان بعصيانه ورفضه إلى حالة الفساد بإرادته، فانفتحت طاقة إرادته التي خلقت للبر لعمل الشر... فتلوث جمال الإنسان، والنفس أصبحت يعمل فيها الشر، والجسد يفني ويموت، والروح تنطفئ ولا تحمل قوة حقيقية للحياة الأبدية.

٢- تجرد الإنسان من سلطانه ودخوله تحت سلطان الشيطان

الانفصال عن الله حالة خطيرة جداً لا يشعر بها إلا من عرف الله. لذلك فإن تغير حالة الإنسان من القداسة للفساد الذي أصبح بعد السقوط ظهرت نتائجها سريعاً. ***إذ فقد الإنسان سلطان البر والقداسة الذي كان يحمله ويشبه به الله...***

فلم يعد له سلطان الملك، ولم يعد له الهيبة والقوة المستمدة من صورة الله وشبهه، ***وأصبح ضعيفاً جداً***؛ ودخل في عبودية مملكة الظلمة التي تحت سلطان إبليس. فحينما وافق الإنسان على التعدي والعصيان صار تحت قبضته...

وهذا ما أعلنه السيد المسيح إذ هو القدوس... لم يستطيع إبليس أن يخضعه لسلطانه لأنه لا يحمل أي صورة شر خاضعة له فقال:

"لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيّ شيء"
(يو ١٤: ٣٠)

وهكذا صار الإنسان ضعيفاً بلا قوة فاستعبده إبليس وادخله في عبوديته ولكن ظل الإنسان مشتاقاً للرجوع، يطلق صرخات السجين من جدران عبوديته التي صارت في كل حياته.

٣- أصبح الإنسان يحمل حكم الموت ودخل في قانون المادة

"ورأي الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا "
(تك١: ٣١)

وهذا يعني إنه كيان ليس فيه أي شيء ضعيف أو سيء . فبالرغم من وجود طبيعة مادية وطبيعة روحية، إلا أن الجسد والروح والنفس في حالة بر وبلا صراع بين الطبيعيتين. ولكن حينما سقط الإنسان أصبح في حالة صراع إذ تشوه الشبه الذي من الله ودخل الإنسان في سلطان الشر.

وهذا جعل الإنسان في حالة صراع بين ما يحمل من صورة قديمة مشوهة وسلطان إبليس الحادث فيه، وبين اشتياقاته الداخلية لحياته الفردوسية. ومع ضعف الروح التي في الإنسان لأنها خارج الله. أصبح الإنسان يحيا في قانون المادة الخاضعة للجهل والفناء ، فالجسد أصبح يميل إلى الأرض التي يتحول إليها بعد الموت. وصار كل إنسان يحيا في ضيق وتعب وألم مفتقداً الفرح الحقيقي إذ سلطان إبليس يولد الضيق والكآبة.

وكان عمل الله للإنسان بعد الخطية هو مخاطبة روحه من خلال الأنبياء والأحداث المحيطة به حتى ينتظر إلى أن يأتي خلاصه. وكأنه مثل سجين داخل جدران سميكة عالية ... ***ولكن من خلال طاقة صغيرة يري منها الشمس جاء أبوه ليخاطبه*** عن كيفية الحياة والسلوك في السجن إلى أن يأتيه ويتمم الإفراج عنه. فحالة السجين ليست هي الحالة الطبيعية له ولكنها حالة ضد طبيعته، إذ يحيا في قانون السجن والعبودية والقيود.

هذه هي الحالة التي سبقت الخلاص، فقد كان الله يحاول أن يخاطب الإنسان بشتى الطرق حتى يعرفه ويؤمن بخلاصه إلى أن يأتي المسيح المخلص.

إذن بالخطية أصبح الإنسان يحمل حكم الموت حسب القانون الذي وضعه الله،

"وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك" (تك٣: ١٧)

ولم يعد الإنسان يحيا كما كان قبل السقوط ولكنه صار يحيا كباقي المخلوقات المادية، يتعب لكي يأكل ويصارع كي يعيش وتتحكم فيه شهوات وغرائز حسب قانون الطبيعة الحيوانية، ويتسلل الموت والمرض والضعف إلى

كيانه ليعود من جديد إلى الأرض التي تفتح فاهها لتحتضن موته وكيانه المادي. هكذا يصفه لنا معلمنا القديس بولس الرسول:

"ويحي أنا الإنسان الشقي. من ينقذني من جسد هذا الموت"
(رو٧: ٢٤)

وهكذا صار حال الإنسان بعد الانفصال عن الله... كيان يحمل متناقضات المادة والروح، يحمل الموت ويحمل الاشتياق إلى الانطلاق والحياة. ولكنه لا يستطيع، فكيانه كله مبيع تحت سلطان خارج عن الله وهذا دون إرادته وإن كان قد دخل في سلطان إبليس بخطيئته الإرادية.

٤- الانفصال عن الله جعل الإنسان في حالة غربة كيانية وعمي روحي وجهل عقلي

لقد كان كيان الإنسان قبل السقوط يحيا في إلى الله محاطاً بنعمته التي تعمل في شخصيته وكيانه فقوة الله التي جعلته رأساً للكون ومتسلطاً على الأرض. ولكن بعد السقوط انفصل الإنسان كيانياً عن الله وأصبح مخلوقاً عاصياً لرب الكون، ويحمل في كيانه الفساد والشر علامة عصيانه وفقره وموته.

ولأن الشر أصبح متسلطا عليه، ولأن الفساد أصبح يعمل فيه، ولأنه قد صار تحت قانون المادة. لذلك فلم تعد لديه إمكانيات الاستنارة القوية بروح الله لأنه رفضه وطلب أن يتحرر من الوجود فيه ومعه.

فصار عقله في حالة عتامة. ولم يعد قادراً على رؤية الخير والحق، وصار غريباً عن الله من حيث المعرفة. فلم يعد بعد عقله قادراً على الدخول في شركة حقيقية مع الله لأنه قد صار تحت ستار المادة بعتامتها وكثافة طبيعتها.

فقانون الفساد الذي أصبح متملكاً عليه جعله غريباً عن الله، وقانون المادة التي انتمى إليها بعد السقوط خارج الله جعله في حالة عمي روحي. فذهب يبحث عنه وسط الصخور وفي التراب والنار والنجوم، وبجهل عبد قوي الشر وسار خلف الضلالات عبر الزمان وكان بلا رؤية روحية حقيقية فاقداً الاستنارة.

وكلما انغرس في الخطية كلما ابتعد وصار في موت روحي ولم يعد قادراً على رؤية الله الحقيقي. إلا أنه كان هناك من يبحث بصدق عن الحق وله اشتياقات للحياة مع الله فكان له استعلان خاص أو يرسل الله له من يهديه إلى طريقه ومعرفته بالرغم من عتامة الصورة العامة.

ولكن كانت إعلانات الله عن ذاته للإنسان في كل زمان متوافقة مع حالة الإنسان الذي يهيئ نفسه لاستقبال معرفة الله، ولكنه لم يستطع بذاته أن يري ويسمع الله وجهاً لوجه كما كان قبل الخطية؛

"وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. فنادي الرب الإله آدم وقال له أين أنت. فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت" (تك٣: ٨ – ١٠)

فلقد غربته الخطية عن مصدر وجوده...

فصار تائهاً خائفاً...

يحيا دون أن يعرف للحياة معنى...

ويعيش دون أن يعرف معنى الحقيقة...

ولكن يا لتعاسة هذا المخلوق...

الذي له عقل يدرك الحياة...

ولكنه لا يعرف كيف يعيشها...

يرى البر...

ولكنه لا يعرف كيف يتبرر؟

يشتاق إلى الله...

ولكنه مسجون وخلف حجاب...

وأين المفر؟!

ومن ينقذه؟!

إذن... تلك كانت المأساة...

صلاة

يا أبي ...
حينما أرجع إليك
لا تسألني عن ثوبك الذي وهبتني إياه
لأني فقدته بجهلي وشهوتي
لا تمقتني لأني عريان من جديد
لأني لا أعرف بماذا أجيب
الثوب تمزق... وأنا السبب
نهشته الذئاب التي أحببتها أنا
ويالللعجب...
وأدخلتها إلى بيتي
فجرحتني ونهشتني وتركتني
وأصبحت لا أقوى على الحياة من التعب
يا أبتي...
أتري هذه التقيحات...
إن الجروح تؤلمني
ولا أعرف طبيباً سواك

الخزي يملأ كياني
لأنه لم أحافظ على الثوب الذي وهبتني إياه
أعلم أنه غال جداً... ثمنه دمك
أعلم أنك صنعته لتهبني به الحياة
ولكني فقدته ودنست ذاتي
لطخت كل صوري
وأصبحت أصارع في كل حياتي
وجهي الذي كان يشبهك
شوهته بالطين والجروح
هدمت الكرم دمرت الصروح
ولم يعد لي سوي العري والعار
نسيت حبك وصليبك، الجروح والمسمار
بماذا أجيبك حين تسألني عن عريي؟!
لا يمكنني أبداً أن أراك من خزيي
ولا يمكنني أن أتركك وأجري
بماذا أنطق حين تعاتبني نظراتك؟!
بماذا أبرر فقدي لثوبك؟!
يا أبتي...

إني أهنت اسمك وسط الناس

سلمت ميراثي لأعدائك

فهل بقي لي حب داخلك؟

هل بقيت لي نعمة في عينيك؟

هل يمكنني أن أري وجهك وأنا في هذه الحالة؟؟!

أمين...

الفصل الثالث
العبور من الموت إلى الحياة

هكذا عزيزي القارئ...

من كل ما سبق نجد أن الإنسان قد دخل في دائرة الفساد متغرباً عن الله وتحت سلطان إبليس، إذ يحيا في مملكة الظلمة يحمل حكم الموت منتظراً حدوثه في أي وقت، فكان لابد أن يموت.

ولكن في نفس الوقت كيف يموت؟ لأنه توجد أسباب لعدم موته وهي

١- **الله أحب الإنسان،** لهذا قد صنعه فكيف يموت؟؟ وكأنما هناك أب حذر ابنه من النزول إلى البحر حتى لا يغرق ويموت وبينما هو جالس على الشاطئ وجد ابنه في عمق البحر يصرخ مستغيثاً لأنه يغرق. ***كيف ستكون مشاعر الأب حيال ذلك ؟!***

هل سيقول له لقد قلت لك ألا تنزل البحر وإلا ستموت ويتركه لمصيره! قطعاً لا ... فانه سيتحرك لنجدته لأنه يحبه متغاضيا عن حالة العصيان ... هكذا كيف يترك الله الإنسان الذي أحبه يموت؟!

٢- كيف يمكن أن تفشل صنعة الله وعمله؟

كيف يمكن أن يخلق الله الإنسان ويتركه يفني وينتهي؟ المشكلة كلها من حرية الإرادة التي اختار بها الإنسان موته ولكن الله لم يخلقه للموت.

فقد كان لابد أن يعاد تشكيل إرادته من جديد بعد خبرة الخطية والموت، كي يختار بعد ذلك الحياة بعدما عرف معني الموت. وحتى تكون الحرية عن معرفة حقيقية. فتكون الحياة مع الله من جديد بلا تردد وعن اختيار... عبر مراحل صراع ورفض لكل عروض الشر ومن خلال حب مبذول من خلال إرادة حقيقية.

وهكذا كان لابد أن يبحث الله عن طريقة لنجدة الإنسان من حالة الموت التي ادخل فيها الإنسان نفسه بإرادته... بحيث لا يتعارض هذا الحل مع....

- **أولاً:** عدل الله ورحمته.
- **ثانياً:** طبيعة الحياة مع الله من قداسة، وإرادة الإنسان في اختيار هذه الحياة بحرية تامة.

أولاً: عدل الله ورحمته

قد يتبادر سؤال في أذهان البعض ألم يستطع الله بقدرته العظيمة أن يعيد الإنسان إلى حالته الأولي بمجرد كلمة منه؟؟ ولما أحب الإنسان بهذه الدرجة، فلماذا لم يسامحه ويرجعه إلى حالته الأولي؟

عزيزي القارئ ...

لابد أن تعرف أن صفات الله غير متناقضة، فهو رحوم وقادر على كل شيء ، ولكنه أيضاً عادل وعدله لابد أن يتوافق مع رحمته، ورحمته لابد أن تتوافق مع عدله. والوصية قانون خارج من فم الله حاملاً قوة مصدره الذي يخرج منه... إذا فالقانون لابد أن يحدث. لأنه لو لم يكن لهذا القانون ضرورة لما صار قانون فالقانون يحمل صفة ضرورة العمل به.

فحينما قال الله إن جزاء العصيان هو الموت، إذا لابد أن يموت الإنسان وإلا تكون كلمة الله غير فاعلة.

كمثل قاضي في مدينة يحكم فيها بالعدل وهو الوحيد الذي يسن القوانين ويحكم مدينته بها ، فلابد أن يكون هذا الشخص عادلاً جداً غير متناقض مع أحكامه. وإذا افترضنا أن هذا القاضي وضع قانوناً يحمي الحياة في المدينة المتمثلة في الخليقة كلها... وكان هذا القانون يقضي بأنه إذا قتل أي إنسان أخر فلابد أن يموت هو، أو يدفع أحد حياته بدلاً منه كحياة مقابل حياة... وكانت المدينة كلها تعرف هذا القانون وتخشاه.... وجاء يوم وهو في ساحة القضاء قبضوا على شخص كاسراً هذا القانون وقد قتل شخص آخر، ووقف في القفص كمدان أمام القاضي... وكان هذا الشخص ابن القاضي! فهو حسب القانون المتفق عليه مدان ومحكوم عليه إما الموت أو أن يدفع أحد حياته بدلاً

منه. فماذا يصنع القاضي هل يحكم بالبراءة لأنه ابنه حبيبه أم يحكم عليه كما ينص القانون؟

فإذا حكم بالبراءة فلا يمكن أن يوصف بالعدل مهما كان يحب ابنه. ***فلأجل العدل يحكم عليه بالموت... ولأجل الحب يموت هو بدلاً عنه، فسيخرج الابن سالماً ويموت القاضي وقد وضع نفسه كسجين ومدان لينفذ فيه الحكم الذي أصدره هو.***

هكذا لم يكن ممكناً أبداً أن يقول الله للإنسان أنت مدان ولكنك لا تموت؛ فهذا يتنافى مع عدل الله. ولكنه أوجد له الحل العادل الذي يتطابق مع رحمته.

ثانياً: لابد أن يكون الحل لا يتعارض مع طبيعة قداسة الله وحرية الإنسان في اختيار هذه الحياة

ولأن الإنسان قد صار في حالة الفساد وطبيعة مباعة لإبليس، وتحت سلطان الشر، فلم يكن هناك أي إمكانية أن يعود الإنسان إلى الاتحاد بالله وهو في حالة الفساد.

فحتى إذا سامحه الله فإن طبيعته كانت تحتاج إلى تغيير وتجديد ليتمكن من الدخول في شركة الاتحاد، وحينئذ تكون لتوبة الإنسان إمكانية الغفران والرجوع إلى الله. وقد كان لابد أن تحدث الخطوات كالآتي:

١- يجدد الله الطبيعة الإنسانية ويزيل الفساد الحادث فيها لكسر سلطان إبليس عليه إذ أن إبليس هو سيد هذا الفساد .

٢- يرجع الإنسان ويختار الحياة مع الله من جديد بحريته.

٣- يتقبل الله صورة الإنسان المجددة بعد إتمام العدل الإلهي.

ولنضرب مثلاً عن أحد الآباء قد حذر ابنه من إدمان المخدرات... لأن صورته حينئذ ستتنافى مع كونه ابنه... فيفقد أهليته وتذهب ثروة أبيه هباء .

لذلك قال الأب للابن: إذا أقبلت على المخدرات وأدمنتها ستدمر كيانك وتدمر خلايا المخ وتفقد صوابك وحينئذ سأحرمك من الميراث. وأما الابن فلم يبالي بكلام الأب بل ذهب وسمع كلام الأشرار وأدمن المخدرات التي دمرت عقله فعلاً، وذهب صوابه وفقد أهليته ***وحرمه أبوه من الميراث***. فجاء البعض وقالوا للأب سامح أبنك وارجع له ميراثه... فرفض لأن طبيعته غير مؤهلة لذلك فقد كان لابد وأن يعالج ابنه ***أولاً***، ثم يتعهد بعدها الابن بأن لا يرجع للإدمان، ***أي يتوب عنه ويختار طاعة أبيه***، يكون قبول الأب لابنه ورجوع ميراثه يتناسب مع حالته الجديدة.

هكذا فقد كانت مسامحة الله للإنسان وقبول رجوعه مرتبطاً بتجديد طبيعته التي فسدت... وبعدها يختار الإنسان بحريته الجديدة الحياة مع الله، فيغفر الله للإنسان تعديه الأول ويقبله فرحاً.

صلاة

أصرخ إليك يا أبتي من هاوية نفسي
أعرف أنك تسمعني
ولكن هل تعرفني
نعم أنا ابنك
ولكن ملامحي مشوهة
لم أعد أحمل تلك الملامح التي تشبهك
أنا ابنك ولكن
ثوبي الذي أعطيته لي
صار ممزقاً ومتسخاً
أنا ابنك ولكن
الخاتم الذي في إصبعي
رمز بنوتي لك قد أضعته
دخلت وسط الشر بإرادتي
صنعت لرجلي طرقاً
كانت في نهايتها الموت

نعم أنا الذي كنت في حضنك احتمي
والآن خرجت لأصبح أضحوكة للأشرار
أنا الذي كنت على كتفك محمولاً
والآن صرت منقاداً وبلا اختيار
أنا الذي كنت على كفيك محفور اسمي
وقد صرت غريباً عنك
تعال وانظر تلك القروح والعذابات
تعال وافحص ما صرت إليه
تراب ورماد...
أنا أعرف أنك تحبني
رغم ملامحي المشوهة
رغم جروحي وأمراضي
رغم ضعفي وبعادي ولكن...
لا تشمئز من منظري وخطاياي
فقد أتيت إليك يا أبي
لكي تعيد شكلي وتصلح خطاي
لا يوجد سواك يعيد تشكيلي

لا يوجد سواك حافظ تكويني
ورغم حالي وضعفي ولكن يقيني
أنك سترحمني وتقبلني
يا أبت لقد جئت إليك
بعد سنوات التيه
فهل تفتح لي حضنك كي ارتاح فيه؟!
سأطلعك على جرحي لكي تشفيه
سأطلعك على ضعفي لتداويه
دعني ادخل إليك لكي تشكلني من جديد
دعني ادخل معك إلى موتك وصليبك
دعني اخرج من قبرك كالوليد
بطبيعة جديدة
بحياة جديدة
بعمر جديد
هاأنذا اطرح نفسي عند قدميك
فاصنع بي كما تشاء وتريد

آمين...

ويبقي السؤال الهام هنا ...

كيف سيجدد الله طبيعة الإنسان المشوه؟؟!! وكيف سيعيد خلقته من جديد ويزيل آثار الخطية ويرفع حكم الموت ليعطي الحياة من جديد؟؟!!

فالإنسان محكوم عليه بالموت وفي نفس الوقت لابد أن يحيا؟

فإذا مات... كيف يحيا؟؟؟!!!

إذن لا مفر من أن يأتي مخلص يكون قادراً على الموت عن الجنس البشري وتقوم بعد الموت حتى يحيا الجميع فيه. **ولكن من هذا الفادي الذي لابد وأن يحمل كل هذه الصفات ليستطيع أن يحل القضية ؟!**

صفات الفادي الذي يحل قضية موت الإنسان

١- إنسان يحمل صفة المصدر

فقد كان لابد أن يكون حل القضية هو أن يتم حكم الموت في ***هذا الفادي***... وأن يكون له ***صفة المصدر*** حتى يكون الحكم كافياً لكل البشرية، وأن يكون إنساناً يمثل آدم حتى يمكن أن يموت عنه. *فآدم الأول الذي أخطأ كان هو أول البشرية وبذلك صار الحكم على الجميع إذ أخطأ الجميع.*

لذلك يجب على من ينفذ فيه الحكم أن يحمل صفة المصدر مثله. ولا يوجد مصدر للإنسانية سوي آدم، ولا يوجد مصدر لآدم نفسه والطبيعة كلها سوي الله. هكذا يقول معلمنا القديس بولس الرسول:

"من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم (لأنه مصدر) وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع... لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولي كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح. فإذا كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة. لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبرار"

(رو٥: ١٢، ١٧ – ١٩)

فكان لابد أن يكون الفادي إنساناً...

يحمل نفس صورة آدم الأول أي الذي منه خرج كل إنسان ليكون حكم الموت الذي ينفذ فيه حقيقة وكافياً لكل جنس البشر ***فالحكم حقيقي والتنفيذ حقيقي.***

كما أنه لا يمكن أن يكون الفداء عن حكم الموت من خلال طبيعة أخري غير إنسانية، كالملائكة مثلاً، لأن الحكم كان على الإنسان. وكما أن الملائكة لا تتوافر فيها باقي الشروط.

فالفادي الذي ***يحمل قيمة مصدرية***؛ لابد أن يكون إنساناً تكون قيمته تساوي كل الخليقة مثل آدم تماماً. وإلا حينما ينفذ فيه حكم الموت يموت كفرد دون أن يستطيع أن يفي العدل الخاص بجميع البشر لأنه من البشر.

٢ـ بار وبلا خطية

فالذي يقدم ذاته فداء عن الإنسانية الخاطئة، ***لابد أن يكون هو بلا خطية.*** فإذا كان هذا الشخص يحمل خطية أو يحمل الفساد فكيف يمكنه أن يعطي البر؟! وإذا كان محكوماً عليه بالموت كخاطئ فكيف يمكنه أن يموت عن خطيئة الآخرين؟!

فإذا تقدم شخص ليموت عن آخر ووجد أن هذا الشخص محكوم عليه بالموت لأجل جريمة شخصية فلا يمكن تحقيق الفدية. لذلك كان لابد أن يكون هذا الفادي بلا خطية كي يبرر كل البشرية كما قال معلمنا بولس الرسول:

"ونحن متبررين الآن بدمه نخلص به من الغضب"
(رو٥: ٩)

وبر الفادي ضرورة لكي يبتلع الفساد ولا يكون لإبليس سلطان عليه. كما قال السيد المسيح له المجد :

"رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء"
(يو١٤: ٣٠)

لأنه هو خارج سلطان إبليس وهو بذلك قادر أن يقوم من الأموات إذ لا يمكن أن يدخله إبليس في سلطانه.

٣ـ غير محدود

لقد انتقلت الخطية إلى كل الجنس البشري عبر كل العصور، وبذلك كان لابد وأن يكون العمل الذي سيتم لفداء الإنسان يخص كل بني البشر على مر السنين.

وهذا يعني إنه منذ آدم إلى نهاية الدهور كان لابد أن يغطي الفداء لكل إنسان ولد وسيولد ، وهذا لن يحدث إلا إذا كان هناك ***فادي*** يستطيع أن يفدي كل البشرية ***على مستوي شخصي.*** ويكون غير محدود على مستوي الزمان والمكان والإمكانية؛ أي يستطيع أن يزيل كل فساد في كل إنسان يريد أن يتحد بالبار القدوس لتتغير حياته.

"فنظر إليهم يسوع وقال. عند الناس غير مستطاع. ولكن ليس عند اللـه لأن كل شيء مستطاع عند اللـه"

(مر١٠ : ٢٧)

أي أنه لابد أن يكون الفادي فوق الأزمنة والأمكنة والإمكانيات... حتى يستطيع أن يصل إلى كل إنسان ليرفع عنه الموت ويسدد عنه ما عليه، ويزيل فساده الشخصي مهما كانت حالته وصورته وزمانه ومكانه وهو بذلك شخص يستطيع أن يجمع في نفسه كل الخليقة. كما قال معلمنا بولس الرسول:

"ليجمع كل شيء في المسيح ما في السماوات وما على الأرض في ذاك" (أف١: ١٠)

٤ـ له الحياة في ذاته

فمن يحمل حكم الموت لابد وأن يحمل أيضاً الحياة بصورة ذاتية. حتى تكون الحياة في كيانه ويكون هو مصدر الحياة؛ فلا يمكن للموت أن يمسكه أو يفرض عليه قانونه.

فماذا يفيد لو أنه قد مات الفادي عن البشرية كلها؛ ويكون بذلك قد أتم القصاص ولكنه لم يعطها إمكانية الحياة؟! فقد كان لابد أن يهب الحياة للإنسانية بعد ما ألغي حكم الموت، وهذا لن يحدث إلا إذا كانت له الحياة في ذاته.

٥ـيعيد للإنسانية إمكانيات الشبه مع الله

أي يخلق ملامح الله من جديد في الإنسانية. فلابد أن الذي يفدي الإنسان يكون قادراً أيضاً على إزالة آثار الفساد الذي دخل إليه. فحتى يمكن للطبيعة الإنسانية أن تدخل في شركة مع الله، كان لابد أن تعاد إليها القداسة التي فقدت كنتيجة للخطية.

ولابد وأن يعاد تشكيل ملامح الإنسانية الداخلية كخليقة جديدة حسب الخليقة الأولي التي كانت ***تشبه الله***. وبهذا يمكن أن يعاد الإنسان إلى رتبته الأولى ويرجع له ميراثه المفقود وصورته التي تشوهت بالخطية.

٦ـله سلطان علي إبليس

من نتائج السقوط أن الإنسان قد صار في قبضة إبليس قبل وبعد الموت الجسدي، يستخدم حقه في القبض على روحه ويتسلط عليها في الجحيم. لذلك لابد وأن يكون الفادي له سلطان وقدرة على فك أسري إبليس وكسر متاريس السجن الذي يقبض فيه على الأرواح ويعطيها الحرية. ولابد أيضاً أن يهب هذا السلطان لكل من يتحد به حتى لا تستطيع جنود الشر أن تقترب منه.

"ها أنا أعطيكم سلطانا أن تدسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو"
(لو١٠: ١٩)

وأن يكون الفادي له قوة أعظم من إبليس حتى يمكن أن يسترد منه نفوس الأبرار التي عنده ويحطم مملكته ويزيل آثار عبوديته للبشر، فيقول عنه معلمنا بولس الرسول:

"الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته"
(كو١: ١٣)

وبنظرة سريعة لهذه الشروط نجد إنها لا يمكن أن تتوافر إلا في الله، فمصدر الإنسان الأول هو آدم ولكنه ليس باراً والمصدر الذي يسبقه هو الله لأنه الخالق.

إذا ***فالله هو المصدر البار الوحيد*** الغير محدود في الزمان والمكان والإمكانيات وله الحياة في ذاته.

وهو وحده أيضا الذي يمكنه أن يخلق قلباً جديداً أو يعيد الشبه المفقود في الإنسانية، ليرجع ويهب القداسة لطبيعة الإنسان من جديد. وهو وحده أيضاً الذي يملك سلطاناً مطلقاً على إبليس، فيمكنه أن يقيده ويكسر سلطانه وعبوديته للإنسان.

أي إننا نحتاج إلى صفات وإمكانيات الله في هذا الفادي ولكننا أيضاً نحتاج إلى إنسان ليفدي الجنس البشري أي يموت فعلاً، لكي يستطيع أن يحمل حكم

الموت ويعيد الطبيعة إلى حالتها الأولي. فهل يمكن أن يهب الله إمكانياته اللاهوتية والحتمية لقضية الفداء إلى إنسان ما ليحل القضية؟

هذا الحل مستحيل لأنه لو أُعطي الله إمكانياته اللاهوتية إلى إنسان ما سيكون عندنا إلهين؛ إله بالطبيعة وإله بالإمكانية (الإنسان الذي أخذ صفات الله).

والحل الوحيد هو أن يتحد الله بطبيعة الإنسان – أي أن يتجسد ويتأنس الله، أو يتحد الله بإنسان كامل يشابهنا في كل شيء ما خلا الخطية والتغيير – وهذا لا يعني تحول الله إلى طبيعة أخري ولكنه يتحد بالطبيعة الإنسانية دون أن يتغير إلى صورة من صورة.

وهذا مثل التشبيه الرائع **للقديس كيرلس الكبير** حين شبه اتحاد الله بالإنسانية مثل اتحاد الحديد بالنار، مع احتفاظ كل منهما بطبيعته إلا إننا نراهما متحدين.

وهذا هو شخص السيد المسيح الذي بناسوته (طبيعته الإنسانية) يمكنه أن يموت ويفدي البشرية وبلاهوته (طبيعته الإلهية) يمكنه أن يجعل قوته كافية لكل البشرية في كل الأزمنة والأمكنة وإزالة الفساد وتغيير الطبيعة وكسر سلطان إبليس.

ويقول القديس هيلارى: *"البشرية كلها كانت متحدة به من خلال ناسوته"* .

ويقول البابا أثناسيوس: *"الخلاص لم يكن مطلوباً لما ليس له وجود حتى كان يكفي مجرد صدور أمر. ولكن الإنسان كان موجوداً فعلاً وكان منحدراً إلى الفساد والهلاك لهذا كان طبيعياً وعدلاً أن يستخدم (الكلمة) أداة بشرية ويعلن نفسه في كل مكان. لهذا كان السبب معقولاً جداً أن يلبس المخلص جسداً حتى إذا ما اتحد الجسد بالحياة (اللاهوت) لا يفني في الموت المائت بل يقوم إلى عدم الموت إذ لبس عدم الموت"* .

وباتحاد الله مع طبيعتنا، استطاع أن يبتلع بره فساد طبيعتنا. فهو البار الذي يحمل البر كطبيعة كيانية فيه تغطي كل فساد البشرية المتحدة به.

ويقول القديس امبروسيوس: *"احتمال المسيح للموت أمات الموت. لذلك فإن الله الكلمة المتجسد أو السيد المسيح هو القادر أن يعيد فساد طبيعتنا إلى حالها الأول باتحادنا به"* .

كما يقول **القديس كيرلس الكبير:** *" أن شظية مشتعلة مخفية في كوم من القش تحتفظ بأصل النار وهكذا يخفي سيدنا حياته فينا بجسده ويحفظها فينا كبذرة خلود"* .

ولأن الله هو الحياة فإن اتحاده مع طبيعتنا قد أعطتنا إمكانيات الحياة الأبدية. إذا أصبح هناك إمكانية أن يتم رجوع طبيعتنا إلى الحياة من جديد من خلال الشركة الخاصة بناسوته (إنسانية السيد المسيح) التي يمثلنا بها مع لاهوته (الطبيعة الإلهية في السيد المسيح).

ويقول أيضا **القديس كيرلس الكبير**: *" أنه يوحّد بواسطة نفسه وفي نفسه البشرية مع الله فقد صار حلقة وصل لأنه يجمع في نفسه الطرفين اللذين يسعيان نحو الوحدة والمحبة أي الله والبشرية"* .

الخميرة التي تخمر العجين

وتأمل معي عزيزي القارئ هذا المثل فلكي يتم الاتحاد بين طبيعة الخميرة وطبيعة العجين فإنه تؤخذ أولاً قطعة من العجين ويتم اتحادها بالخميرة خارج العجين، بعد الاتحاد الكامل بين قطعة العجين والخمير توضع مرة أخرى في باقي العجين فيتم الاتحاد بين الخميرة التي اتحدت مع قطعة العجين الصغيرة وبين العجين كله من خلال طبيعة العجين التي أخذت منها .

هكذا فإن الله أخذ طبيعة إنسانية ولكنها بلا خطية من العذراء ، واتحد بها ليتم فيها عمل الفداء والبر وتغير صورة الإنسانية المحكوم عليها بالموت، ثم وهب كل من يتحد به أن يصير مثله ويحيا أيضاً فيه.

ويقول **القديس كيرلس الكبير**: *"ابن الله صار إنساناً لكي يصير الناس فيه وبواسطته أبناء بالتبني"* .

وقد تألم السيد المسيح ودخل في شركة الموت الإرادي ليزيل سلطان إبليس ويكسر شوكة الموت ويخرج بالإنسانية منتصرة على الشيطان في شخصه ونحيا بصورة جديدة بعيدة عن عبودية الشر. فيقول معلمنا القديس بطرس الرسول:

"الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر" (١بط٢: ٢٤)

ويقول البابا أثناسيوس: *"وإذ تألم من خلال اتحاده به (أي بناسوته) عوضها عن الجميع استطاع أن يبيد ذاك الذي له سلطان الموت أي الشيطان لكي يخلص أولئك الذين بسبب الخوف من الموت كانوا كل أيام حياتهم تحت العبودية"*

وهكذا عزيزي القارئ...

قد احتوي المسيح موتنا، وقام ليهبنا حياة جديدة، وصورة جديدة، وكياناً جديداً ليفتح آفاق الأبدية لكل من يتحد به، ليفتح جنبه المطعون ينبوع شفاء وخلاص لكل من يقبل إليه.

فالفداء هو سر الحياة المسيحية...

لذلك فإن كلمة فداء باليونانية تترجم (***ابولوتروسيس***) أي يحرر وتترجم أيضاً (***ليتروسيثيا***) أي يقتني.

فعمل الفداء هو حرية العبد الذي كان في قبضة الأشرار. والسيد المسيح دفع قيمة عبوديته لنصير أبناء الله. وبذلك صارت لنا الحياة الجديدة فيه، وارتفعت قيمتنا إلى قيمة صورة المسيح نفسه حينما نتحد به ونثبت فيه. لقد دفع موته ثمناً لحريتنا وحياتنا. كما ينادي معلمنا القديس بولس الرسول:

"لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١كو٦: ٢٠)

"فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غلا٢: ٢٠)

"المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة" (غلا ٣ :١٣)

وكما يقول معلمنا القديس بطرس الرسول:

"عالمين إنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح" (١بط١: ١٨، ١٩)

لذلك يا أخي الحبيب...

فإن حياتك التي أنت فيها الآن وتمتد إلى الأبدية هي حياة المسيح نفسه إذ في حقيقتها مدفوع ثمنها بدم المسيح لتصير أنت ابناً مقدساً له.

فلم تعد لذاتك ولا لهذه الحياة الفانية والباطلة. فإن حياتك القديمة خارج المسيح حياة محكوم عليها بالموت، وفي حالة عداوة مع الله ولكنك حينما تتحد حياتك بالمسيح بالمعمودية كفعل دائم تأخذ المسيح كما قال معلمنا بولس الرسول:

"أنتم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح"
(غلا٣: ٢٧)

وبذلك تحيا بصورته في العالم وفيه يتم التصالح مع الله لتحيا في الأبدية.

" أي أن الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه"
(٢كو٥: ١٩)

"ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح" (أف٢ :١٣)

والاتحاد بالمسيح على مستوي شخصي وزمني يتم بالافخارستيا حينما نتحد بجسده ودمه فنثبت فيه وتغفر خطايانا . وفي المعمودية نتحد بموته ونقوم معه .

"من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه"
(يوح ٦ :٥٦)

فالافخارستيا تحمل إمكانيات دائمة للصليب إذ يقدم جسده المكسور ودمه المسفوك دائماً على المذبح ؛ فالذبيحة التي قدمها المسيح على الصليب لن تنتهي أبداً ولن يحدها الزمان ولكن كما رآه معلمنا ماريوحنا الحبيب :

"خروف قائم كأنه مذبوح" (رؤه ٥ :٦)

فهو قدم نفسه مرة واحدة على الصليب وإذ هو الله فتكون هذه الذبيحة أبدية . ونستطيع أن ندخل فيها ونتحد بها لتغطي خطايانا وهذا يحدث على المذبح في سر الافخارستيا (التناول والشكر) وهذا هو سر ثباتنا ونجاتنا واتحادنا فيه .

ويقول **الأب ميثودسيوس الأولمبي :** *"تنمو الكنيسة يوماً فيوماً في القامة والجمال خلال نقاوتها واتحادها مع اللوغوس الذي ينزل إلينا حتى الآن ويستمر نزوله إلينا في ذكري آلامه (الافخارستيا)"* .

ويصف **القديس يوحنا ذهبي الفم** الجسد المقدس الذي على المذبح فيقول: *"من أجل جسده لا أعود لأكون تراباً ورماداً ولا أكون سجيناً، بل من أجل هذا الجسد أترجي أمجاد وأتقبل الخيرات السماوية والحياة الخالدة ونصيب الملائكة والمناجاة مع المسيح سمر هذا الجسد بالمسامير وجلد، ولا يعود يقدر عليه الموت. إنه الجسد الذي لطخ بالدماء وطعن ومنه خرج ينبوع الخلاص للعالم، ينبوع الدم وينبوع الماء"*.

عزيزي القارئ...

إنها قصة عجيبة جداً هي قصة الإنسانية...

فلقد خلقنا الله في أبهى

صورة تحمل شبهه وصورته

ولكننا رفضناه ورفضنا حبه.

وارتضينا أن تصير في حالة عداوة مع الذي أحبنا

وحينما تجرعنا كأس الموت ومرارة الخصام

صرخنا فأتى إلينا مصلوباً لأجلنا،

يحمل آثامنا وبيديه قبلنا

وأعطانا ذاته، وبفم قد شرب آلامنا...

نعم لنحيا بموته...

لنحيا من جديد ...

ولنموت فيه فنحيا حياته...

هذا هو سر التجسد والفداء

الذي أعطي القيمة لكل البشرية...

هذا هو سر الحب الذي وهبنا الحياة الأبدية...

هذا هو سر وجودنا في المسيح

وينبوع الهبات الإلهية...

هذا هو سر فرحنا وسرورنا

هذا هو قوة حياتنا وتسبيحنا

فيا أبانا الذي أحبنا حتى الموت

إننا نحبك أيضاً حتى الموت

نشتاق أن نتحد بك حتى تذوب ذواتنا فيك

نشتاق أن نختفي حتى تشرق فينا

نشتاق ألا نوجد نحن ويكون كل ما فينا هو أنت

أنت قوتنا وفرحنا ...

كنزنا المعلن والمخفي وكل حياتنا

ونصرخ ونسبح مع **البابا أثناسيوس**

الآن يا أحبائي قد سحق الشيطان

ذاك الطاغية الذي هو ضد العالم كله...

لا يعود يملك الموت

بل تتسلط الحياة عوضاً عن الموت

إذ يقول الرب" أنا هو الحياة"

الآن إذ أبطل الموت وتهدمت مملكة الشيطان،

امتلأ الكل فرحا وسعادة.